123 - وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون .

- 124 - وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل ا ا أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند ا وعذاب شديد بما كانوا يمكرون .

يقول تعالى : وكما جعلنا في قريتك يا محمد أكابر من المجرمين ورؤساء ودعاة إلى الكفر والصد عن سبيل ا وإلى مخالفتك وعداوتك كذلك كانت الرسل من قبلك يبتلون بذلك ثم تكون لهم العاقبة كما قال تعالى : { وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين } الآية وقوله تعالى : { أكابر مجرميها ليمكروا فيها } قال ابن عباس : سلطنا شرارهم فعصوا فيها فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب . وقال مجاهد وقتادة : { أكابر مجرميها } عظماؤها قلت : وهكذا قوله تعالى : { وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون } وقوله تعالى : { وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون } والمراد بالمكر ههنا دعاؤهم إلى الضلالة بزخرف من المقال والفعال كقوله تعالى إخبارا عن قوم نوح : { ومكروا مكرا كبارا } وقوله تعالى : { ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين } قال سفيان : كل مكر في القرآن فهو عمل وقوله تعالى : { وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون } أي وما يعود وبال مكرهم وإضلالهم إلا على أنفسهم كما قال تعالى : { وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم } وقال : { ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون } . وقوله تعالى : { وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل ا } أي إذا جاءتهم آية وبرهان وحجة قاطعة { قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل ا } أي حتى تأتينا الملائكة من ا بالرسالة كما تأتي إلى الرسل كقوله جل وعلا : { وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا } الآية .

وقوله تعالى : { ا أعلم حيث يجعل رسالته } أي هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه كقوله تعالى : { وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ... أهم يقسمون رحمة ربك } الآية يعنون لو نزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير جليل مبجل في أعينهم { من القريتين } أي مكة والطائف وذلك أنهم قبحهم ا كانوا يزدرون بالرسول صلوات ا وسلامه عليه بغيا وحسدا وعنادا واستكبارا كقوله تعالى مخبرا عنه : { وإذا رآك الذين

كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون } وقال تعالى : { وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث ا رسولا } وقال تعالى : { ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون } هذا وهم معترفون بفضله وشرفه ونسبه وطهارة بيته ومرباه ومنشئه صلى ا وملائكته والمؤمنون عليه حتى إنهم يسمونه بينهم قبل أن يوحى إليه " الأمين " وقد اعترف بذلك رئيس الكفار (أبو سفيان) حين سأله هرقل ملك الروم : وكيف نسبه فيكم ؟ قال : هو فينا ذو نسب قال : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا . . الحديث بطوله الذي استدل ملك الروم بطهارة صفاته عليه السلام على صدق نبوته وصحة ما جاء به وقال الإمام أحمد عن وائلة بن الأسقع Bه أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : " إن ا اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم " (رواه مسلم وأحمد) وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة Bه قال قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه " . وقال الإمام أحمد قال العباس : بلغه صلى ا عليه وسلّم بعض ما يقول الناس فصعد المنبر فقال : " من أنا ؟ " قالوا أنت رسول ا فقال : " أنا محمد بن عبد ا بن عبد المطلب إن ا خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فريقين فجعلني في خير فرقة وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا " صدق صلوات ا وسلامه عليه .

وفي الحديث أيضا المروي عن عائشة Bها قالت قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " قال لي جبريل قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم " (رواه الحاكم والبيهقي) وقال الإمام أحمد عن عبد ا بن مسعود قال : إن ا نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلوون عن دينه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند ا حسن وما رآه المسلمون سيئا فهو عند ا سيء (أخرجه الإمام أحمد عن ابن مسعود موقوفا) .

وأبصر رجل ابن عباس وهو داخل من باب المسجد فلما نظر إليه راعه فقال : من هذا ؟ قالوا : ابن عباس ابن عم رسول ا صلى ا عليه وسلّم فقال : { ا أعلم حيث يجعل رسالته } (أخرجه ابن أبي حاتم) وقوله تعالى : { سيصيب الذين أجرموا صغار عند ا وعذاب شديد } الآية هذا وعيد شديد من ا وتهديد أكيد لمن تكبر عن اتباع رسله والانقياد لهم فيما جاءوا به فإنه سيصيبه يوم القيامة بين يدي ا { صغار } وهو الذلة الدائمة كما أنهم استكبروا فأعقبهم ذلك ذلا يوم القيامة لما استكبروا في الدنيا كقوله تعالى : { إن الذين يستكبرون

عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين } أي صاغرين ذليلين حقيرين . وقوله تعالى : { وعذاب شديد بما كانوا يمكرون } لما كان المكر غالبا إنما يكون خفيا وهو التلطف في التحيل والخديعة قوبلوا بالعذاب الشديد من ا يوم القيامة جزاء وفاقا { ولا يظلم ربك أحدا } كما قال تعالى : { يوم تبلى السرائر } أي تظهر المستترات والمكنونات والضمائر وجاء في الصحيحين عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم أنه قال : " ينصب لكل لواء غادر لواء عند أسته يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلان بن فلان " والحكمة في هذا أنه لما كان الغدر خفيا لا يطلع عليه الناس فيوم القيامة يصير علما منشورا على صاحبه بما فعل